سورة الحجر

٤٧ - قوله تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾

القراءة : اختلف القراء في قراءة قوله تعالى " رُبَمَا يَوَدُّ .. " في تشديد الباء وتخفيفها . فقرأ عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين " رُبَمَا " بتخفيف الباء ، وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة بتشديدها . فقد قرأ نافع ، وعاصم بتخفيف الباء وقرأ الباقون بتشديدها . وهما لغتان مشهورتان [1] . وروي أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ "ربما" مثقلة . فقد روى الحاكم في المستدرك فقال : أخبرنا الشيخ أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه ، أنبأ علي بن الحسين بن علي بن الجنيد ، ثنا أبو الشعثاء ، ثنا خالد بن نافع الأشعري ، عن سعيد بن أبي بردة ، عن أبيه ، عن أبي موسى ، رضي الله عنه ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : إذا اجتمع أهل النار في النار ، ومعهم من أهل القبلة من شاء الله ، قالوا : ما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟ . قالوا : كانت لنا ذنوب

---

(١) انظر : السبعة ص : ٣٦٦ ، والكشف جـ ٢ / ٢٩ ، وتفسير البحر المحيط جـ ٥ / ٤٣١ ، والكشاف جـ ٢ / ٥٦٩ / ٥٧٠ ، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن جـ ١٤ / ٦ ، وتفسير الفخر الرازي جـ ١٩ / ١٢٠ ، وزاد المسير جـ ٧ / ١٣٧ ، وفتح القدير للشوكاني جـ ٣ / ١٢١ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ١٠ / ١ ، والتبصرة ص : ٢٣٨ ، والنشر في القراءات العشر جـ ٣ / ١٣٨ .

فأخذنا بها ، فسمع الله ما قالوا ، قال : فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة فأُخرجوا فيقول الكفار : يا ليتنا كنا مسلمين ، فنخرج كما أُخرجوا . فقال : وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ، رُبَّما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين " مثقلة . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[٢].ووافقه الذهبي . وقال ابن جرير الطبري : والصواب من القول عندنا أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان معروفتان ، بمعنى واحد ، فقد قرأ بكلٍّ واحدةٍ منهما أئمة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب [٣] . قلت : إذن القراءة المروية عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قراءة متواترة صحيحة . وقال أبو حاتم : أهل الحجاز يخففون ، ومنه قول الشاعر :

٢٧- ربما ضربة بسيف صقيل

بين بصرى وطعنة نجلاء[٤]

وقيس وتميم وربيعة يثقلونها ، وقد تزاد التاء الفوقية [٥] . وبالتاء قرأ طلحة بن مصرف ، وزيد بن علي : رُبَّتما ، وإذا اتصلت بها التاء جاز فيه الإسكان والفتح : كثُمَّت ولات ، فتكثر للألفاظ ، ولها أحكام كثيرة [٦] .

---

(٢) أخرجه الحاكم في : كتاب التفسير ، باب قراءات النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مما لم يخرجاه وقد صح سنده جـ ٢ / ٢٤٢ .والقرطبي في : الجامع لأحكام القرآن جـ ١٠ / ٢ .

(٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن جـ ١٤ / ٦ .

(٤)البيت لعدي بن العلاء الغساني ، انظر : خزانة الأدب ج٩/٢٨٢ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٠/١ ، وفتح القدير للشوكاني ج٣/١٢١ ، وتفسير الفخر الرازي ج١٩/١٢٠.

(٥) انظر : فتح القدير للشوكاني جـ ٣ / ١٢١ ، وتفسير الفخر الرازي جـ ١٩ / ١٢٠ .

(٦)انظر : الدر المصون جـ ٤ / ٢٨٥ .

و " رُبّ " فيها قولان ، أحدهما : أنها حرف جر ، وزعم الكوفيون وابن الطراوة ، وأبو الحسن أنها اسم ، والأصل أن تستعمل في القليل ، وقد تستعمل في الكثير ، قال الكوفيون : أي يودّ الكفار في أوقات كثيرة لو كانوا مسلمين، ومنه قول الشاعر :

٢٨- رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتُهُ ذَلِكَ اليَوْ
مِ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرٍأَقيالِ[٧]

وقيل : هي هنا للتقليل لأنهم ودّوا ، ذلك في بعض المواضع لا في كلها لشغلهم بالعذاب [٨] . وقال الفخر الرازي : وأقول في هذه اللفظة لغات ، وذلك لأن الراء من رب ، وردت مضمومة ومفتوحة ، أما إذا كانت مضمومة فالباء قد وردت مشددة ومخففة وساكنة ، وعلى كل التقديرات ، تارة مع حرف ما ، وتارة بدونها ، وأيضاً تارة مع التاء ، وتارة بدونها . وأنشدوا :

٢٩- أسمى ما يدريك أن رب فتية
باكرت لذتهم بأذكر مسرع[٩]

---

(٧)البيت للأعشى وهو في ديوانه ص: ٢٥٣ ، ومغني اللبيب ج٦٧٣/٢ ، رقم ٨٢٦ . وفتح القدير للشوكاني ج١٢١/٣ وفي ديوانه بلفظ :

رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتُهُ ذلك اليَوْ مِ وأَسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أَقْتَالِ

(٨) انظر : فتح القدير للشوكاني جـ ٣ / ١٢١ ، والدر المصون جـ ٤ / ٢٨٥ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ١٠ / ١ .

(٩) ذكره الفخر الرازي في تفسيره ج١٢٠/١٩ ، وهو في ديوان الهذليين ج٨٨/٢.

و " رب " بتسكين الباء وأنشدوا بيت الهندي :

٣٠- أزُهَيْرُ إنْ يشبه القذالُ فإنني

رُبَ هَيْضَلٍ مرسى كففت بهَيْضَلِ[١٠]

والهيضل : جماعة متسلحة . وأيضاً هذه الكلمة قد تجيء حالتي تشديد الباء وتخفيفها مع حرف ما . كقولك : ربَما وربَّما ، وتارة مع التاء وحرف ما كقولك : "ربَتما وربّتما . هذا كله إذا كانت الراء من رب مضمومة ، وقد تكون مفتوحة ، فيقال: رب ، وربما ، وربتما حكاه قطرب . وقال أبو علي : من الحروف ما دخل عليه حرف التأنيث نحو : ثم وثمت ، ورب وربت ، ولا ، ولات ، فهذه اللغات بأسرها رواها الواحدي في البسيط [١١] .وقد أنكر أبو حيان أن تكون " رب " اسم وأنها تفيد التكثير فقال : ورب حرف جر لا اسم ، خلافاً للكوفيين ، والأخفش في أحد قوليه ، وابن الطراوة ، ومعناها في المشهور التقليل لا التكثير ، خلافاً لزاعمه وناسبه إلى سيبويه ، ولمن قال لا تفيد تقليلاً ولا تكثيراً ، بل هي حرف إثبات ، ودعوى أبي

---

(١٠)هذا البيت من كلام أبي كبير الهذلي ، وقد استشهد بالبيت البغدادي في الخزانة ج٤/١٦٥ ، ج٩/٥٣٥/٥٣٦/٥٣٧ ، وابن يعيش في المفصل ج٥/١١٩ ، وابن الأنباري في الإنصاف ج١/٢٣١ رقم ١٦٩ بلفظ :

أزُهَيرُ إنْ يَشِب القَذَالُ فَإنَّهُ رُبَ هَيْضَلٍ لِجبٍ لَفَفْتُ بِهَيْضَلِ

والفخر الرازي في تفسيره ج١٩/١٢٠ ، وجمهرة اللغة ص:٦٨ ، والمحتسب ج٢/٤٠٤ ، والمعجم المفصل ج٦/٥١٥/٥١٦.

(١١) انظر : تفسير الفخر الرازي جـ ١٩ / ١٢٠ / ١٢١ ، والكشاف جـ ٢ / ٥٦٩ / ٥٧٠ ، والجامع لأحكام القرآن جـ ١٠ / ١ / ٢ .

عبد الله الرازي ، الاتفاق على أنها موضوعة للتقليل باطلة ، وقول الزجاج : إن رب للكثرة ضد ما يعرفه أهل اللغة ليس بصحيح . وفيها لغات وأحكام كثيرة ، ذكرت في النحو ، ولم تقع في القرآن إلا في هذه السورة على كثرة وقوعها في لسان العرب [١٢] .

وقد اختلف أهل العربية في معنى " ما " التي مع " رُبَّ " . فقال بعض نحويِّي البصرة "أُدْخِلَ مع " ربَّ " ما " ليُتكلَّم بالفعل بعدها ، وإن شئت جعلت " ما " بمنزلة شيء ، فكأنك قلت : ربَّ شيءٍ يَوَدُّ ، أي : ربَّ وُدٍّ ! يَوَدُّه الذين كفروا . وقد أنكر ذلك من قوله بعض نحويِّ الكوفة ، وقال : المصدر لا يحتاج إلى عائد ، والوُدُّ ، وقد وقع على لو : ربما يَوَدُّون لو كانوا ، أن يكونوا ، وقال : وإذا أُضمر الهاء في " لو " ليس بمفعول، وهو موضع المفعول ، ولا ينبغي أن يترجم المصدر بشيء ، وقد ترجمه بشيء ثم جعله وُدًّا ، ثم أعاد عليه عائد ، فكان الكسائي والفراء يقولان : لا تكادُ العربُ تُوقع " رُبَّ " على مستقبل ، وإنما يوقعونها على الماضي من الفعل كقولهم : ربَّما فعلتُ كذا ، وربَّما جاءني أخوك ، قالا : وجاء في القرآن مع المستقبل : " رُبَمَا يَوَدُّ " وإنما جاز ذلك ، لأن ما كان في القرآن من وعد ووعيد وما فيه فهو حق ، كأنه عِيان ، فجرى الكلام فيما لم يكن بعدُ منه مجراه فيما كان كما قيل " ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم " [سورة السجدة / ١٢] . وقوله " ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت " [سورة سبأ / ٥١] . كأنه ماضي وهو منتظر لصدقه في المعنى ، وأنه لا مكذِّب له . وتأويل الكلام : ربما يَوَدُّ الذين كفروا بالله فجحدوا وحدانيته لو كانوا

---

(١٢) انظر : تفسير البحر المحيط جـ ٥ / ٤٣١ .

في دار الدنيا مسلمين [١٣] . وقال الشوكاني : والمراد أنه لما انكشف لهم الأمر واتضح بطلان ما كانوا عليه من الكفر ، وأن الدين عند الله سبحانه ، هو الإسلام لا دين غيره، حصلت منهم هذه الودادة التي لا تسمن ولا تغني من جوع ، بل هي لمجرد التحسر والتندم على ما فرّطت في جنب الله . وقيل : كانت هذه الودادة كائنة منهم عند معاينة حالهم وحال المسلمين . وقيل : عند خروج عصاة الموحدين من النار ، والظاهر أن هذه الودادة كائنة منهم في كل وقت مستمرة في كل لحظة بعد انكشاف الأمر لهم [١٤] .

---

(١٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن جـ ١٤ / ٦ / ٧ / ٨ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ١٠ / ١ ، والكشاف جـ ٢ / ٥٦٩/ ٥٧٠ .

(١٤) انظر : فتح القدير للشوكاني جـ ٣ / ١٢١ .